الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم

عرض وتحليل ونقد

إعداد

دكتور/ عادل بن علي الشدّي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الملك سعود

مجلة كلية دار العلوم العدد الثالث عشر يونيو ٢٠٠٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم

عرض وتحليل ونقد

د. عادل بن علي الشدّي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
بجامعة الملك سعود

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فتبرز أهمية: [الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم] بالنظر إلى أنها ظلت قرون طويلة المصدر الوحيد الذي يتمكن من خلاله الغربي من قراءة معاني القرآن الكريم ومعرفة حقيقة ما أُرسل به محمد ﷺ، وهو ميدان تفرد المستشرقون بالولوج إليه، فسهموا وبشكل مؤثر في تشكيل صورة مشوهة حول القرآن ومعانيه، في أذهان قومهم تحت ستار المنهجية العلمية المزعومة.

ولقد فطن كثير من الباحثين المسلمين إلى خطورة هذا الأمر فكرّوا على مزاعم المستشرقين وأغاليطهم بالنقد والتفنيد، وإن كان نصيب الترجمات الاستشراقية من هذا البيان لا يزال محدودًا بالنظر إلى كثرتها وعظم تأثيرها.

ويهدف هذا البحث إلى أمرين:

الأول: بيان أبرز الأخطاء المنهجية في الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم على سبيل الإجمال، وإيضاح مدى تأثير هذه الأخطاء على سلامة تلك الترجمات إلى درجة لا تجعلها مصادر صالحة للاطلاع على معاني القرآن الكريم من خلالها.

الثاني: تزويد المتخصصين برصد مختصر لأبرز الترجمات الاستشراقية لمعاني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرآن الكريم، مع أمثلة تطبيقية كافية توضح كيفية وقوع الخلل المنهجي فيها وأسبابه دون توسع أو استطراد.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة:

ركزت في الفصل الأول - والذي اشتمل على ثلاثة مباحث - على مفهوم الاستشراق والترجمة وحقيقتهما، مع بيان تفصيلي لأبرز الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم عبر القرون.

وخصصت الفصل الثاني لأسباب الخطأ في الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم فحصرتها في سبعة أسباب، أفردت كل سبب منها بمبحث مستقل مع الأمثلة التطبيقية التي بلغت سبعة وثلاثين مثالاً، ويجدر بي هنا أن أؤكد على أن الاستقصاء التام والاستقراء الشامل لما جاء في الترجمات الاستشراقية لم يكن من مقصودي ولا كان في مقدوري في هذا البحث المختصر فذلك أمر يحتاج إلى جهد جماعي مؤسسي ليؤتي ثماره العلمية.

آمل أن يُسهم هذا البحث في جمع ما تفرق في ثنايا الكتابات وتقريب ما بعد في بطون الدراسات، وأن تتلوه دراسات أخرى من الباحثين المتخصصين تتناول بصورة تفصيلية الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول: مفهوم الاستشراق وترجمة معاني القرآن وتاريخهما

المبحث الأول: تعريف الاستشراق وحقيقته

المبحث الثاني: معنى الترجمة وحقيقتها

المبحث الثالث: تاريخ الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول: تعريف الاستشراق وحقيقته

حظي مصطلح الاستشراق بعناية كبيرة من المتخصصين في مجال الدراسات الشرعية بفروعها المختلفة[1] ويكاد السواد الأعظم من هؤلاء الباحثين يتفق على عدد نزاهة الأهداف التي قامت عليها حركة الاستشراق[2] حتى إن هذا المفهوم أصبح محل عن أصحابه في كثير من الأحيان، مما جعلهم مؤخرًا يُفضلون الابتعاد عنه إلى مسميات أخرى[3].

وفي حين يرجع الأصل الاشتقاقي للاستشراق إلى جهة الشرق وهي جهة شروق الشمس "والتشريق الأخذ في ناحية الشرق"[4] فإن السؤال الملح هنا هو عن السبب الذي لأجله يطلب غير الشرقي الدراسات الشرقية أهو طلب المعرفة بالواقع على وجه الحقيقة دون مقرر سابق؟ أم هو دفاع غير الشرقي عن حضارته وثقافته من خلال الدراسات الشرقية التي يُدلف إليها بتحيزٍ وعنصرية وانتقائية في كثير من الأحيان.

وفي ضوء هذا التساؤل فإن الرجوع إلى معنى الاستشراق في اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية لا يعدّ كافيًا للتعريف بحقيقة الاستشراق، حيث تم تعريفه بمجموع الدراسات التي يقوم بها أهل الغرب عن الشرق ديانته وأعراقه وثقافته[5].

ومن بين سبعة تعريفات للاستشراق وقف عليها الباحث فإن تعريفًا واحدًا فقط - وهو تعريف الدكتور لخضر شايب - استطاع أن يضيف للإجابة عن هذا التساؤل المتعلق بالباعث على القيام بهذه الدراسات بُعدًا آخر هو محاولة الفهم العميق لطبيعة الاستشراق للانتقال من حالة الدفاع إلى الهجوم الفكري والمعرفي، ويمكن التعرض لأبرز

---

(١) يظهر موقع مكتبة واحدة على الإنترنت - هي مكتبة الملك فهد الوطنية - عند طلب الدراسات المتوفرة في المكتبة عن الاستشراق ما يزيد عن: ٤٧٠ مادة ورد في عنوانها مسمى: الاستشراق.

(٢) انظر: نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، للدكتور الخضر شايب (ص: ٣٠).

(٣) استنكر جاك بيرك المستشرق الفرنسي الشهير أن يُطلق عليه وصف مستشرق لارتباط هذا المصطلح بالمغالطات والتضليل وفضّل أن يُطلق عليه مؤرخ اجتماعي أو باحث في شؤون العالم الإسلامي. انظر موقف الغرب من الإسلام د. زينب عبد العزيز (ص:٧٠).

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٠/١٧٣).

(٥) انظر: الاستشراق في أفق انسداده للدكتور/ سالم حميش (ص: ٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعريفات الاستشراق على النحو التالي:

تعريف: إدوارد سعيد[1].

١- أسلوب فكري قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، وهو

٢- دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من غير المسلمين - من أهل الكتاب بوجه خاص - للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب.. بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، وهو تعريف الدكتور أحمد غراب[2].

٣- الكتابات الغربية عن الفكر الإسلامي وحضارته، وهو تعريف مالك بن نبي[3].

٤- موقف ثقافي وحضاري واجه ويواجه به الغرب الحضارات التي تطرح ثقافاتها نظرة مختلفة للكون والإنسان والتاريخ والمستقبل، وهو تعريف الدكتور لخضر شايب[4].

وبغض النظر عن مدى الاتفاق والاختلاف مع كل تعريف من التعريفات السابقة فإن المقصود هو الانطلاق من تعريف الاستشراق إلى بيان حقيقته التي أجملها كثير من الباحثين في كونه وثيق الارتباط بالتنصير والاستعمار الغربي مفتقدًا للأمانة العلمية والموضوعية البحثية عند تناول الإسلام بوجه خاص وأنه يسهم بشكل فعّال في صنع القرار السياسي في الغرب تجاه الإسلام والمسلمين[5] وأن الاستشراق يمثل ويصدق موقف الغرب من الإسلام وحضارته[6].

وعلى الرغم من تقسيم بعض الباحثين للمستشرقين إلى فئتين:

إحداهما: تستحق الاحترام والتقدير لمآثرها في نشر العلم، وتسهيل الوصول إلى مؤلفات لو لم يُبادروا إلى دراستها وفهرستها وتحقيقها لظلت حبيسة خزائن المكتبات.. إضافة إلى تعريفهم الغربيين على الحضارة العربية والإسلامية.

---

(١) انظر: الاستشراق لإدوارد سعيد (ص: ٣٨).

(٢) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق د. أحمد غراب (ص: ٧).

(٣) انظر: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي لمالك بن نبي (ص: ١٦٧)، بتصرف.

(٤) انظر: نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر (ص: ٢٩)، بتصرف.

(٥) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق (ص:٨).

(٦) انظر: نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر (ص: ٣١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والثانية: تحكمت فيها الأهواء فلم يروا في الإسلام شيئًا ذا شأن وحاولوا نسبة كل فضل فيه إلى أصول غير إسلامية يهودية أو نصرانية أو يونانية أو رومانية[1].

إلا أن هذا التقسيم لا يصمد أمام النقد العلمي الذي يقوم على تتبع الإنتاج العلمي لهؤلاء المستشرقين والتأكد من وجود الميول الذاتية القائمة على العنصرية والتحيز، زعم تفوق الغرب بدينه وحضارته وثقافته على الشرق الذي يبرز المسلمون فيه كقوة فاعلة هي محل الدراسات الاستشراقية منذ القرون الوسطى.

ومن هنا فإن مضمون الظاهرة الاستشراقية لا يعدُّ جديدًا فهو موقف معظم غير المسلمين من الإسلام: إنكار الوحي والنبوة وتكذيب الرسول ﷺ وإثارة الشبهات حول الإسلام وإن كان الجديد فيه إلباسه لبوس الحياد والنظرة العلمية المجردة وتجنب القدح المباشر، وإن كان كثير من المستشرقين يعجز عن ضبط ميوله الذاتية فيقع في هذا القدح الفج المباشر في الإسلام ونبي الإسلام في كثير من الأحيان.

لقد مرَّت حركة الاستشراق بأطوار متعددة كان محورها الأول دفاع الغرب عن ذاته أمام انتشار الإسلام فكريًّا وجغرافيًّا طيلة القرون الوسطى، ومع تصاعد المد الاستعماري تم استخدام الدراسات الاستشراقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين في التنصير والتمكين للاستعمار الغربي للشرق، وفي أواسط القرن العشرين الميلادي ومع رحيل الاستعمار العسكري عن بلاد الشرق تم استخدام الاستشراق في وضع أسس جديدة للعلاقات بين الغرب والشرق، من خلال مراكز البحث العلمي في الجامعات ومن خلال المؤسسات الرسمية والخاصة التي سعت إلى تكريس أسس هذه العلاقة الجديدة[2] وبحلول القرن الحادي والعشرين الميلادي فإن ظاهرة جديدة بدأت تنشأ متزامنة مع سوء سمعة مصطلح الاستشراق والمستشرقين في الأوساط الشرقية عمومًا، والإسلامية على وجه الخصوص، تمثلت في تسليم بعض المستشرقين الراية إلى تلاميذهم من المنتسبين للأمة الإسلامية وإتاحة الفرصة الكاملة لهم لترداد الأفكار التي تشربوها منهم مع التكفل بإبرازهم وخدمة إنتاجهم العلمي وتوارى هذا النفر من المستشرقين عن

---

(١) انظر: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم للدكتور محمد البنداق (ص: ٩٢).

(٢) انظر: نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر (ص: ٣٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأضواء والبروز المباشر وهي تضيحة أملتها طبيعة النظرة المرتابة إلى الاستشراق والمستشرقين في الأوساط الإسلامية.

أما عن التاريخ الرسمي للاستشراق فيمكن إرجاعه إلى عام ١٣١٢م حين قرر المجلس الكنسي في فيينا الموافقة على تأسيس كراسي جامعية لدراسة اللغات الشرقية، من أهمها اللغة العربية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وغيرها من الجامعات الأوربية[1].

بل إن قرار إنشاء كرسي اللغة العربية بجامعة كمبردج في عام ١٦٣٦م نص على أن: "توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون في الظلمات" كان هو الهدف من إنشاء هذا الكرسي.

ويقسّم المعجم الاستشراقي المسمّى: المكتبة الشرقية الصادر في عام ١٦٩٧م التاريخ البشري إلى قسمين:

مقدّس: ويشمل تاريخ اليهود والنصارى.

وغير مقدس: ويشمل تاريخ المسلمين.

حيث يزعم هذا المعجم أن الإسلام مجرد هرطقة أسسها أفاك مشهور هو محمد[3].

وهكذا فإن التاريخ الرسمي لحركة الاستشراق يؤكد على غلبة الميول الذاتية وافتقاد الأمانة العلمية مع الحرص على التشويه والتشكيك والانتقائية الواضحة في المصادر التي يتم الرجوع إليها.

---

(١) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق (ص: ٢٦).

(٢) انظر: المستشرقون الناطقون بالإنجليزية للدكتور عبد اللطيف الطيباوي (ص: ٤٧٧).

(٣) انظر: الاستشراق لإدوارد سعيد (ص: ٦٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني: معنى الترجمة وحقيقتها

الترجمة: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، ومنه الترجمان وهو الذي ينقل الكلام من لغة إلى أخرى[١] وهذا المعنى للترجمة هو المعنى العرفي للترجمة وهو الأشهر، وهو أحد معاني الترجمة في اللغة العربية.

وتطلق الترجمة في اللغة العربية على تبليغ الكلام لمن لم يبلغه ومنه قول الشاعر:

إن الثمـــانيـــن وبُلِّغتها قد أحوجتْ سمعي إلى ترجمان

كما تطلق على التفسير وإيضاح الكلام بلغته التي جاء بها، ومنه جاءت تسمية ابن عباس بترجمان القرآن، بمعنى أنه يقوم بإيضاح معانيه وتفسيره باللغة العربية التي نزل بها النص القرآني[٢].

وقد اجتهد بعض الباحثين في صياغة تعريف معاصر للترجمة هو:

التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده[٣].

ويتفق هذا التعريف مع ما جاء في قاموس أكسفورد حول معنى الترجمة حيث عرّفها بأنها: التعبير عن معنى أو جملة أو كتاب تعبيرًا كاملاً بلغة أخرى[٤].

ويرى المتخصصون أن الترجمة حتى تكون ناجحة ونافعة فلابد لها من مترجم له الصلاحية التامة من الناحية اللغوية والفنية[٥] ومن ذلك إتقانه للغتين - المترجم منها والمترجم إليها - كتابة وقراءة مع إخلاصه وحسن نيته وتحريه الصواب وعدم تأثره بمذهب خاص يؤثر على ترجمته[٦].

ومع كل هذه الشروط المطلوب توفرها في المترجم فإن للترجمة مشكلات من أهمها[٧].

---

(١) انظر: لسان العرب مادة ترجم (٢٢٩/١٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٤٣٦/١) ومختار الصحاح للجوهري (٩٩/١).

(٣) وهو الدكتور أحمد حسن فرحات في كتابه: في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق (ص: ٢٧٥).

(٤) انظر: قاموس أكسفورد، الاستشراق والقضايا الإسلامية، للدكتور أحمد الحصين (ص: ٧١٢).

(٥) انظر: فن الترجمة لمحمد عوض محمد (ص: ١٩).

(٦) انظر: دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس (ص: ١٧١).

(٧) انظر: دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس (ص: ١٧١)، وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- اختلاف اللغات في نظام الجملة وترتيب كلماتها وأثر ذلك على المعنى.

٢- صعوبة نقل جمال الألفاظ وجرسها والجوانب البلاغية من لغة إلى أخرى.

٣- دلالة الكلمات وحدود معانيها واختلاف ذلك من لغة إلى أخرى، وخصوصًا في النصوص الأدبيّة المعتمدة على التصوير والعاطفة والتأثير والانفعال والأفكار المتعددة.

وتنقسم الترجمة بالمعنى العرفي إلى قسمين:

حرفيّة: تراعي محاكاة الأصل وفيها يستبدل المترجم كل كلمة في الأصل بكلمة تساويها في اللغة الأخرى.

وترجمة تفسيرية: تركز على المعنى المراد بالجملة فينقله المفسر إلى لغة أخرى موافقًا لما أراده صاحب الأصل دون التزام باستبدال كل كلمة بنظيرتها في اللغة الأخرى(١).

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية على أن ضرب الأمثال لتصوير المعاني من تمام الترجمة فقال:

"ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظه ومعناه، كما أمر بذلك الرسول ﷺ ولا يكون تبليغ رسالة الله إلا كذلك، وأن تبليغه إلى العجم قد يحتاج إلى ترجمته لهم، فيُترجم لهم بحسب الإمكان، والترجمة قد تحتاج إلى ضرب أمثال لتصوير المعاني فيكون ذلك من تمام الترجمة"(٢).

وأجمع العلماء على أن ترجمة القرآن لا تسمّى قرآنًا لأن القرآن موحى بلفظه ومعناه والترجمة تفوت الألفاظ ونظمها إذا أمكن أن تحافظ على المعنى كاملاً وهو غير متيسّر في الواقع"(٣).

وإذا لم تكن هذه الترجمة قرآنًا فإنها لا تعدو أن تكون محاولة لتفسير القرآن بحسب اجتهاد هذا المترجم.

---

(١) انظر: في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق (ص: ٢٧٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١٦/٤).

(٣) انظر: محاضرات في علوم القرآن للدكتور: غانم قدوري الحمد (ص: ٢٣). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٤٢/٦)، والمجموع شرح المهذب للنووي (٣٤٢/٣)، حيث نقل عن إمام الحرمين إجماع المسلمين على أن ترجمة القرآن ليست قرآنًا. والمغني لابن قدامة (٥٣٦/١)، والمحلى لابن حزم (٢/ ٥).

إلا أن هذا الاجتهاد مشروط بأمرين[1] :

أولهما: توفر شروط المفسر فيمن يتصدى للترجمة، ومنها العلم باللغة العربية وأساليبها، والإلمام بعلوم القرآن المختلفة، والعلم بالسنة النبوية وما يصح الاحتجاج به منها، مع الإخلاص والتجرد لطلب الحق في فهم النص القرآني.

والشرط الثاني: استيفاء شروط الترجمة، ومنها معرفة المترجم التامة باللغتين المترجم منها والمترجم إليها، وأساليبهما وخصائصهما ووفاء الترجمة بمعاني الأصل ومقاصده على وجه مطمئن، وأن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل بحيث يمكن أن يستغني بها عنه.

كما أن هذه الترجمة المنقولة من اللغة العربية إلى أي لغة أخرى إنما هي ترجمة لمعاني القرآن بحسب فهم المترجم واجتهاده، وليست ترجمة للقرآن في الحقيقة فذلك أمر متعذر شرعًا وعقلاً[2].

ولا ريب أن تأخر ظهور الترجمات لمعاني القرآن الكريم التي تُكتب بأيدي مفسرين من المسلمين أسهم في انتشار الترجمات التي يكتبها المستشرقون، ويحاولون من خلالها أن يعرِّفوا الغرب بالقرآن الكريم بمقتضى فهم المستشرقين له وفي حدود إمكاناتهم اللغوية، ومعلوماتهم عن الإسلام وتعاليمه واللغة العربية وأساليبها إضافة إلى موقفهم المسبق من القرآن.

والسؤال المهم هنا: هل يمتلك هؤلاء المستشرقون الذين عملوا على ترجمة معاني القرآن شروط المفسر وشروط المترجم في آن معًا؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك -كما هو ظاهر للعيان - فهل يسوغ قبول عملهم ونشره من أوساط تدّعى سلوك المنهج العلمي الذي يحرص على استيفاء الشروط وإعمال الضوابط ليخرج العمل أقرب إلى الموضوعية والتكامل. لاسيما حين يكون متعلقًا بالقرآن الذي هو المصدر الأول للتشريع عند المسلمين؟!

---

(١) انظر: في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق (ص: ٢٧٧).

(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني (٢/٥) وما بعدها.

المبحث الثالث: تاريخ الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن

يتفق الباحثون على أن عام ١١٤٣م شهد إنجاز أول الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن على يد الراهبين روبرت كيتون الإنجليزي وهرمان الدالماتي الألماني، كما شهد عام ١٩٩٠م صدور ترجمة المستشرق الفرنسي جاك بيرك لمعاني القرآن، ولعلها من أواخر الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن صدورًا، وما بين هاتين الترجمتين أُنجزت العشرات من الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن خلال ثمانية قرون حافلة بالمد الاستشراقي الذي ركز وبشكل كبير على كل ما يتصل بالقرآن، وأثره في حياة المسلمين.

وفيما يلي رصد لأبرز هذه الترجمات على النحو التالي[١]:

١- ترجمة الراهبين روبرت كيتون الإنجليزي وهرمان الدالماتي الألماني:

من ديركلوني في جنوب فرنسا بتكليف من رئيس الدير الراهب بطرس المحترم في عام ١١٤١م، وقد أنجزا العمل المطلوب منهما في عام ١١٤٣م، وعلى أساس هذه الترجمة أُلِّف بطرس المحترم خلاصة عن عقيدة الإسلام وشريعته سماها: هرطقات الإسلام"[٢] وتم حجب هذه الترجمة عن أعين الغربيين لأربعة قرون متوالية حتى عام ١٥٤٣م مما يؤكد على أن الهدف منها كان تنصيريًّا وتشكيكيًّا بالدرجة الأولى وليس مجرد ترجمة نص كتاب يقدسه مئات الملايين من البشر ويعتقدون أنه كلام الله تعالى، وقد وصف المستشرقون أنفسهم هذه الترجمة بأنها تمت بدافع تنصيري[٣] وبأنها لا تستحق أن تسمى ترجمة لما فيها من الأخطاء التي لا تحصى ولكثرة ما بها من حذف وإضافة حتى لا تكاد تكون هناك مشابهة بينها وبين النص الأصلي[٤].

---

(١) انظر: المستشرقون وترجمة القرآن لمحمد البنداق (ص: ١٥٥)، وما بعدها. والمستشرقون والدراسات القرآنية لمحمد الصغير (ص: ٤٧)، والمستشرقون لنجيب العقيقي (٣/٣٤) وعلماء الغرب يدخلون الإسلام لمحمد حلمي (ص: ١٠٦)، وموسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي (ص: ٦٨)، والقرآن الكريم من المنظور الاستشراقي للدكتور محمد أبو ليلة ونبوة محمد في الفكر الاستشراقي للدكتور لخضر شايب، والاستشراق والقضايا الإسلامية للدكتور أحمد الحصين (ص: ٧١٢)، وما بعدها.

(٢) انظر: تأثير الإسلام في أوروبا لمونتجمري وات (ص: ٧٧).

(٣) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق (ص: ٣٢).

(٤) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق (ص: ٣٢).

٢- ترجمة باجانيني الصادرة عام ١٥٣١م.

٣- ترجمة أريفابيني الإيطالي الصادرة في قينيسيا سنة ١٥٤٧م، وهي أول ترجمة باللغة الإيطالية.

٤- ترجمة شنيجر نورمبروغ الألماني، الصادرة عام ١٦١٦م باللغة الألمانية.

٥- ترجمة أندري ديورير القنصل الفرنسي في مصر باللغة الفرنسية، وقد صدرت عام ١٦٤٧م وحفلت بأخطاء كثيرة.

٦- ترجمة القس ألكسندروس باللغة الإنجليزية الصادرة عام ١٦٤٩م، ولم تكن الترجمة من النص العربي، بل من ترجمة أندري الفرنسي التي حفلت بالأخطاء.

٧- ترجمة الراهب جرمانوس الفرانسيسكاني باللاتينيّة وصدرت في عام ١٦٥٠م.

٨- ترجمة الراهب لودفيكومراشي الصادرة باللاتينية في تبافيا بإيطاليا.

٩- ترجمة بطرس فاسليفيتش بوسينيكوف الروسي الأستاذ بجامعة بادو وقد ظهرت هذه الترجمة باللغة الروسية عام ١٧١٦م ولم تعتمد على اللغة العربية بل على ترجمة أندري الفرنسية الصادرة عام ١٦٤٧م. وحفلت بالأخطاء المتعددة.

١٠- ترجمة رينيكس الصادرة باللاتينية عام ١٧٢١م.

١١- ترجمة جورج سيل باللغة الإنجليزية، صدرت عام ١٧٣٤م، ولقيت ترحيبًا كبيرًا جدًا في الغرب وزادت طبعاتها عن ثلاثين طبعة، وتُرجمت هذه الترجمة إلى الألمانية بواسطة، تيودور أرنولد في عام ١٧٤٦م.

١٢- ترجمة سافاري، باللغة الفرنسية الصادرة عام ١٧٨٣م.

١٣- ترجمة فيريوفكين الصادرة باللغة الروسية عام ١٧٩٥م.

١٤- ترجمة فاهل الألماني سنة ١٨٢٨م باللغة الألمانية.

١٥- ترجمة جوستاف فلوجل ١٨٣٤م في ليبستك، الناشر: تاوخنش.

١٦- ترجمة كازيميرسكي الصادرة بالفرنسية سنة ١٨٤٠م.

١٧- ترجمة نورمبرج السويدي الصادرة سنة ١٨٤٧م بالسويديّة.

١٨- ترجمة هرمان ريكين دروف باللغة العبرية الصادرة في مدينة ليبزج عام ١٨٥٧م.

١٩- ترجمة كازيموسكي الروسي، الصادرة باللغة الفرنسية عام ١٨٧٠م.

٢٠- ترجمة رودويل الصادرة سنة ١٨٧٦م.

٢١- ترجمة باسلوكوف باللغة الروسية وقد صدرت سنة ١٨٧٨م.

٢٢- ترجمة كافا لفيسكي، مخطوطة باللاتينية في حدود ١٨٧٨م.

٢٣- ترجمة بالمر الصادرة عام ١٨٨١م.

٢٤- ترجمة يوغوسلافسكي - الجنرال الروسي في حدود سنة ١٨٩٣م.

٢٥- ترجمة إجناز كراتشكوفسكي باللغة الروسية الصادرة في موسكو عام ١٩٠٥م.

٢٦- ترجمة برانكي باللغة الإيطالية، وقد صدرت عام ١٩١٣م.

٢٧- ترجمة أكاديمية العلوم بلينجراد والصادرة باللغة الروسية عام ١٩١٤م.

٢٨- ترجمة إدوارد مونتيه، باللغة الفرنسية وقد صدرت عام ١٩٢٥م.

وقد امتدحها شكيب أرسلان والشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٩- ترجمة مارما دوك وليم باكثول الصادرة سنة ١٩٣٠م. وقد أعلن المترجم إسلامه في مصر.

٣٠- ترجمة عثمانوف، الأستاذ بجامعة لينغراد وقد صدرت باللاتينية في عام ١٩٣٢م.

٣١- ترجمة ريشاربل الإنجليزي، الصادرة عام ١٩٣٧م، باللغة الإنجليزية.

٣٢- ترجمة ريجيس بلاشير الفرنسي، الصادرة بين عامي ١٩٤٧ - ١٩٥٥م.

٣٣- ترجمة بوزاني الإيطالي، الصادرة بالإيطالية سنة ١٩٥٥م.

٣٤- ترجمة آربري الأمريكي، الصادرة بالإنجليزية سنة ١٩٥٥م تحت اسم: القرآن مفسرًا.

٣٥- ترجمة كرامرز، باللغة الهولندية سنة ١٩٥٦م.

٣٦- ترجمة خوان فيرني، باللغة الإسبانية، الصادرة عام ١٩٥٣م، وقد أسلم المترجم، ثم نقح الترجمة وأصدرها مرة أخرى عام ١٩٦٣م.

٣٧- ترجمة أغناطيوس كرتشوفسكي الروسي، الصادرة باللغة الروسية عن مجمع العلوم السوفيتي عام ١٩٦٤م.

٣٨- ترجمة باريت الصادرة سنة ١٩٨٠م.

٣٩- ترجمة جاك بيرك الفرنسي الصادرة باللغة الفرنسية في باريس عن دار سندباد للنشر، في عام ١٩٩٠م.

ولا شك أن هذا الجهد المتواصل الهادف إلى ترجمة معاني القرآن من قبل المستشرقين بحاجة إلى النقد العلمي وتحليل المضمون لمعرفة مدى سلامة هذه الترجمات من الأخطاء ومعرفة الأسباب الكامنة وراء هذه الأخطاء في ترجمة معاني القرآن، وهو ما سأحاول التعرض له في الفصل القادم.

الفصل الثاني: أسباب الخطأ في الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن

المبحث الأول: التعصب والميول الذاتية.

المبحث الثاني:الجهل بمعاني الألفاظ في اللغة العربية.

المبحث الثالث: عدم إدراك الوجوه المختلفة للمعنى.

المبحث الرابع: الجهل بأساليب الخطاب في اللغة العربية.

المبحث الخامس: الرجوع إلى لغات غير العربية في معاني بعض الألفاظ.

المبحث السادس: التأثر بعقائد أهل الكتاب.

المبحث السابع: الإخلال بالأمانة العلمية.

تمـــهيـــد

تعدّ ترجمة معاني القرآن نوعًا من التفسير بالرأي الذي استقر رأي العلماء حوله إلى تقسيمه إلى قسمين محمود ومذموم.

ويصبح التفسير بالرأي مذمومًا غير مقبول حين يصدر عن جهل أو هوى أو عنهما معًا.

وحين ننظر بتجرد إلى أسباب الخطأ في الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم، فإننا نلحظ وبجلاء ظهور هذين السببين مجتمعين في معظم الترجمات وظهور أحدهما منفردًا في ما تبقى من الترجمات، وهو ما سيظهر في تضاعيف هذا الفصل بشيء من التفصيل من خلال المباحث التالية.

المبحث الأول : التعصب والميول الذاتية

يقوم البحث العلمي عمومًا - والترجمة العلمية على وجه الخصوص - على أساس الموضوعيّة والإنصاف.

وحين يدخل المترجم إلى عمل ما بمقررات سابقة في الذهن حول ذلك العمل فلابد أن تظهر آثار هذه المقررات السابقة على ترجمته وتؤثر فيها.

وفي هذا السياق يقول روبرت ثاولس: "إننا نكون تحت تأثير الهوى والتحيز في آراءنا ميالين إلى تصديق ما نرغب تصديقه أو ما نحتاج إليه أن يكون صحيحًا وإلى إنكار ما نرغب في إنكاره أو ما نحتاجه أن يكون باطلاً"(١).

ويفيض الدكتور ريمون بودون رئيس قسم العلوم الإنسانية في جامعة السوربون في بيان خطورة الأفكار القبلية الضمنية التي لا يصرح بها لما لها من آثار سيئة في صحة الأعمال التي يقوم بها الباحثون والنتائج التي يتوصّلون إليها[٢] "إن نظرة سريعة إلى الكتب التي تكلمت على المنهجية العلمية وشروطها تعطينا حكمًا عامًا بأن الباحث المتحيز لا يمكن أن تكون نتائج بحثه علمية بأي حال من الأحوال"(٣).

فهل يمكن أن تكون نتائج ترجمة معاني القرآن دقيقة وعلمية إذا كان المترجم يقوم بهذا العمل بدافع التعصب لديانته النصرانية أو اليهودية أو التحيز لعرقه الأوربي أو الغربي على سبيل العموم؟

وهل يتوقع صدور ترجمة علمية وأمينة من مترجم له ميول ذاتية ورغبة واضحة في إثبات النقص والخطأ والتناقض في القرآن؟

قد يبدو هذا التساؤل غير مُبرَّر عند البعض بسبب تركيز المدافعين عن الاستشراق على نزاهة المستشرقين في العموم وموضوعيتهم وإنصافهم، إلا أن هذا الزعم يتهاوى -

---

(١) انظر: التفكير المستقيم والتفكير الأعوج، روبرت ثاولس (ص: ١٨٧).

(٢) انظر: "فن إقناع الذات بأفكار هشة" للدكتور: ريمون بودون (ص: ١١٧).

(٣) انظر: العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت. د. خالد الدريس (ص: ٢٤). ومن هذه الكتب: المنهج لإحكام قيادة العقل لديكارت (ص: ٣٦)، وأصول البحث العلمي ومناهجه لأحمد بدر (ص: ٥٨)، وما بعدها، والمدخل إلى مناهج البحث العلمي د. عبد الرحمن بدوي (ص: ٢٦).

ولا سيما في مجال ترجمة معاني القرآن – أمام النقول الموثقة والحقائق العلمية المجردة، ومنها على سبيل المثال:

١- ما ذكره الراهب الإنجليزي روبرت كيتون الرتيني الذي قام بأول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن حيث قال:

"لقد كشفتُ بيدي قانون المدعو محمدًا ويسّرت فهمه وضممته إلى كنوز اللغة الرومانية لمعرفة أسس هذا القانون حتى نتجلى أنوار الرب المسيح على البشرية ويعرف الناس حجر الأساس يسوع"، ويقول مثنيًا على بطرس المحترم رئيس ديركلوني الذي كلّفه بالترجمة: "لقد رأت كنيسة كلوني في بطرسها ما رآه السيد المسيح في رفيقه بطرس، ويجب أن يُشكر لتعريض مبادئ الإسلام للضوء، بعد ما سمح الدارسون في الكنيسة لهذا الكفر أن يتسع ويتضخم وينتشر لمدة خمسمائة وسبعة وثلاثين عامًا، وقد وضّحت في ترجمتي في أي مستقنع أسن يعشعش مذهب السراسين (أي المسلمين).

لقد قشعتُ الدخان الذي أطلقه محمد، لعلك تطفئه بنفخاتك يا بطرس الكلوني"[١].

ولم يتأخر بطرس عن تلبية هذا النداء شديد التعصب الذي يدل على سيطرة الميول الذاتية عند ذلك المترجم، فبادر إلى إصدار خلاصته عن الإسلام من وجهة نظره أسماها: هرطقات الإسلام[٢].

٢- جاء في عنوان ترجمة موركيوندو أي أوكراتوندو لمعاني القرآن باللغة الأسبانية ما نصه: "القرآن مترجمًا بأمانة إلى الأسبانية ومعلقًا عليه ومدحضًا طبقًا للعقيدة والتعاليم المقدسة والأخلاق الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس الرسولي الروماني"[٣].

وهي عبارة تتضح بالتعصب وتؤكد دخول المترجم إلى عمله بميول ذاتية ضد القرآن الذي يتولى ترجمة معانيه.

٣- تصريح جورج سيل في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن، بأن هدفه منها تسليح النصارى البروتستانت في حربهم ضد الإسلام والمسلمين، لأنهم وحدهم قادرون على

---

(١) انظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي (ص: ٣٨٤).

(٢) انظر: تراجم القرآن الأجنبية في الميزان. د. محمد أبو فراخ.

(٣) انظر: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم لمحمد البنداق (ص: ١٠٤).

مهاجمة القرآن بنجاح، وذكر بأنه واثق بأن العناية الإلهية قد ادخرت للنصارى البروتستانت مجد إسقاط الإسلام[١].

وقد جزم في هذا المقدمة بأن محمدًا ﷺ هو مؤلف القرآن فقال: "أما أن محمدًا كان هو حقيقة مؤلف القرآن والمحتال الرئيسي في تأليفه فهو أمر لا خلاف فيه، ولو أنه من المرجح كثيرًا أنه قد تلقى عونًا ليس بالقليل من الآخرين في تخطيطه لأن مواطنيه لم يسكتوا عن الاعتراض عليه"[٢].

ومع أن هذا الميل الذاتي والتعصب النصراني كافٍ لإسقاط القيمة العلمية لهذه الترجمة إلا أن كثيرًا من المستشرقين والمنصرين أكدوا بأن لها قيمة مهمة لدراسة الإسلام – كما قال صموئيل زويمر عن مقدمة جورج سيل – بل إن مونتجمري وات يصف مقدمة جورج سيل بأنها: (وصف موضوعي للإسلام)[٣].

وقد علق الدكتور أحمد غراب على هذا الوصف بقوله:

"ولعل وصف مونتجمري وات لمقدمة جورج سيل بالموضوعية بعد ما عرفناه عن محتواها ودوافعها واستعمالاتها على أيدي المنصرين يُلقي الضوء على مفهوم الموضوعية والإنصاف عند المستشرقين"[٤].

٤- إضافة مقدمات أو ملاحق تطعن في القرآن وتُنشر مع ترجمة معانيه[٥].

ومن الأمثلة على ذلك:

أ – أضيف إلى ترجمة روبركيتون الإنجليزي وهرمان الدالماتي الألماني ستة ملاحق، سُمّيت بمجموعة ديركلوني ومنها: أمة محمد ونشوزها، وتاريخ المسلمين وأخبارهم المعيبة المضحكة، ومجموعة مختصرة من الوثائق الشيطانية المضادة للطائفة الإسلامية الكافرة.

ب – أضيف إلى ترجمة الراهب الإيطالي لودوفيجو مرتشي لمعاني القرآن كتاب (الرائد إلى الرد على القرآن).

جـ – قدّم جورج سيل لترجمته لمعاني القرآن بمقدمة جدلية ضد القرآن، يعتبرها كثير من المنصرين مرجعًا مهمًّا للجدل ضد القرآن.

---

(١) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق (ص: ٣٥).

(٢) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق (ص: ٣٤).

(٣) انظر: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي لإبراهيم خليل (ص: ٥٨).

(٤) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق (ص: ٣٦).

(٥) انظر في ذلك: الغارة على القرآن الكريم، للدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن (ص: ٤٧).

المبحث الثاني: الجهل بمعاني الألفاظ في اللغة العربية

يتفق المتخصصون في علم الترجمة على أن إتقان اللغتين - المترجم منها والمترجم لها- كتابةً وقراءةً أمرٌ ضروري لسلامة عملية الترجمة وصحة وصف القائم بها بالمترجم[١].

ويتفق هؤلاء المتخصصون على أن المشكلة الكبرى في الترجمة تتعلق بدلالة الكلمات وحدود معانيها ولا سيما في النصوص الأدبية - المعتمدة على الأفكار والتصوير والعاطفة والتأثير[٢].

ولم تزل معاني الألفاظ ودلالاتها في اللغة العربية بحرًا لا يُحسن الخوض فيه إلاَّ من تسلّح بسلاح العلم التام بلغة العرب مع تحليه بالصبر والمثابرة وكثرة رجوعه إلى المصادر الأصلية المعينة على حسن الفهم.

وقد أكثر المستشرقون من ادعاء الفهم لمعاني الألفاظ في اللغة العربية، وإتقان المعرفة لدلالاتها حتى آل الأمر ببعضهم إلى إصدار أحكام على القرآن تقدح في عربية بعض ألفاظه أو سلامة معانيها بالمقارنة مع بعض النصوص المنسوبة للشعر أو النثر الجاهلي[٣].

إلا أن هذه الادعاءات لا تصمد أمام النقد العلمي القائم على تتبع هذه الترجمات، ورصد مدى المعرفة التي يتمتع بها أصحابها لمعاني الألفاظ في اللغة العربية.

وسأكتفي في هذا السياق بإيراد الأمثلة التالية:

١- ترجمة (بالمر) ليوم التغابن المذكور في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ [التغابن: ٩] بـ"يوم الغش والاحتيال"[٤] وهو معنى غير صحيح.

قال الراغب الأصفهاني: الغبن أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء... ويوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن في المبايعة المشار إليها بقوله:﴿وَمِنَ النَّاسِ

---

(١) انظر على سبيل المثال: دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس (ص: ١٧١)، وفن الترجمة لمحمد عوض محمد (ص: ١٩).

(٢) انظر: دلالة الألفاظ (ص: ١٧٤)، ومحاضرات في علوم القرآن (ص: ٢٣٥).

(٣) انظر: المستشرقون وترجمة القرآن لمحمد البنذاق (ص: ٩٩)، وانظر إعادة قراءة القرآن، رد الدكتور محمد رجب البيومي على جاك بيرك (ص: ٢٣٦).

(٤) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية (ص: ٧٣٣).

مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وبقوله:﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١]، وبقوله:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ [آل عمران: ٧٧]، فعلموا أنهم قد غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوه من ذلك جميعًا[١].

٢- ترجمة (جفري) لمعنى قوله تعالى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى*ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥] بقوله: "أقرب لك ودائمًا أقرب إلى الساعة ومن ثمَّ فهي أقرب لك ولا تزال أقرب"[٢]

قال الراغب في معنى الآية: وقوله تعالى:﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ كلمة تهديد وتخويف، يخاطب بها من أشرف على هلاك فيحث بها على التحرز، أو يخاطب بها من نجا ذليلاً منه فينهى عن مثله ثانيًا، وأكثر ما يستعمل مكررًا، وكأنه حثّ على تأمل ما يؤول إليه أمره لينتبه للتحرز منه"[٣].

٣- ترجمة (جورج سيل) لمعنى قوله تعالى: ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾[الكهف: ٢٦] بقوله: "هل أنت الذي تستطيع أن تجعل الله تعالى يرى ويسمع"[٤].

وواضح أن المعنى الذي ذهب إليه سيل يخالف المراد بالآية التي تتحدث عن عظمة الله وقدرته، وأنه لا يخفى عليه شيء، وأنه يبصر أفعال خلقه، ويسمع ما يصدر عنهم من أصوات، فحق على الخلق أن يعظموه ويعبدوه[٥].

٤- ترجمة (مارمدوك) معنى قوله تعالى:﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: ١٨] بقوله: فيشج رأسه[٦]. والصواب أن الدمغ كسر الدماغ، وفرق بينه وبين شج الرأس، فالشج لا يتناول إلا المحسوس من الأشياء، أما الدمغ فيشمل الأمور المعنوية

---

(١) انظر: المفردات للراغب (ص: ٦٠٢).

(٢) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية (ص: ٧٣٥).

(٣) انظر: المفردات للراغب (ص: ١٠٠).

(٤) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية (ص: ٧٣٣).

(٥) انظر: المفردات للراغب (ص: ٤٢٦).

(٦) انظر: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم (ص: ١٢٥).

والحسية فالحق يدفع الباطل أي يكسر دماغه وأصل باطله[١].

وفي المعجم الوسيط: يقال: دمغ الحقُّ الباطلَ: محاه[٢].

٥- ترجمة (ماكس هاننج) الإبل المذكورة في قوله تعالى:﴿ أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] بالسحاب!![٣] وهو خطأ واضح لا يقع فيه إلا من لم يكن له أدنى معرفة بمعاني الألفاظ في لغة العرب.

٦- ترجمة (سافاري) معنى قوله تعالى:﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ﴾ [البقرة: ١٠٨] بقوله: أتسألون رسولكم ما سأله اليهود من موسى[٤].

٧- ترجمة سافاري معنى شعائر الله المذكورة في قوله تعالى:﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾[البقرة: ١٥٨] بـــ "آثار الله"[٥].

وفرق بين الشعيرة والأثر[٦].

٨- ترجمة (جاك بيرك) معنى قوله تعالى:﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، بقوله: عسى الله أن يندم لصالحهم[٧].

قال الراغب الأصفهاني: التائب يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده[٨].

ولا يصح حصر معنى التوبة على الندم كما أن الآية صريحة فقوله:﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيه تأكيد بأن التوبة واقعة عليهم، فهم محل التوبة، والله سبحانه هو الذي يتوب عليهم.

٩- ترجمة (جاك بيرك) معنى أم الكتاب وهي سورة الفاتحة بأنها: والدة الكتاب[٩] وهو جهل واضح بمعنى لفظ الأم في اللغة الذي لا يقتصر فقط على الوالدة.

---

(١) انظر: المفردات للراغب (٣١٨).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (ص: ٢٩٦).

(٣) انظر: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم (ص: ١٢٥).

(٤) انظر: المستشرقون والقرآن. د. إبراهيم عوض (ص: ١٢).

(٥) انظر: المستشرقون والقرآن (ص: ١٣).

(٦) انظر: المفردات (ص: ٤٥٦).

(٧) انظر: إعادة قراءة القرآن، رددمجد رجب البيومي على جاك بيرك (ص: ٢٣٦).

(٨) انظر: المفردات (ص: ٦٨).

(٩) انظر: إعادة قراءة القرآن، (ص: ٢٣٦).

قال الراغب: "يُقال لكل ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أمّ، قال الخليل: كل شيء ضُمَّ إليه سائر ما يليه يُسمّى أمًّا قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُ فِـــي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ (١).

١٠- ترجمة (جاك بيرك) معنى قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]. بقوله: إن الله لا يشمئز من استخلاص تشابه من دودة(٢).

ولم يرد من معاني الحياء في اللغة العربية الاشمئزاز، بل هو أمر أحدثه هذا المترجم لجهله بمعاني الألفاظ في اللغة العربية.

---

(١) انظر: المفردات (ص: ٨٥).

(٢) انظر: إعادة قراءة القرآن (ص: ٢٧٥).

المبحث الثالث: عدم إدراك الوجوه المختلفة للمعنى

تتميز اللغة العربية بوجود معان عدّة للفظة الواحدة يترجح أحدها تبعًا للسياق ومن ذلك لفظ: اليمين، والعين وغيرهما من الألفاظ؛ حيث ذكر الفيروزآبادي لليمين عشرة معانٍ مختلفة: القوة، والقدرة، والقسم، والعهد، والجارحة، والصلة، والدين، والجهة، والبرهان، والجنة[1].

وذكر الراغب الأصفهاني للعين سبعة معان مختلفة: الجارحة وعين الماء والجاسوس، والحافظ، والذهب، وأفضل القوم، والإصابة بالعين أي الحسد[2].

وحين نقوم بنظرة فاحصة على كثير من الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن فإننا نلحظ بوضوح ذلك الخلط في معاني الألفاظ، واختيار أحد هذه المعاني لمجرد احتماله في اللغة، وترجيح استعماله في القرآن على هذا المعنى دون غيره، مع مخالفة ذلك للسياق الذي يدل على معنى آخر يحتمله اللفظ في اللغة.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- كلمة [السماء] المذكورة في قوله تعالى:﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[الحج: ٦٥]، حيث ذكر بالمر فى ترجمته أن كلمات النص يمكن أن تترجم بـــ : يمسك المطر أن ينزل على الأرض، وذكر أن أحدًا من الدارسين لم يلتفت إلى فهم النص بهذه الطريقة التي توصل لها بالمر[3]، ومع أن لفظ السماء قد يطلق في اللغة ويُراد به المطر[4] إلا أن سياق الآية واضح في الدلالة على أن هذا المعنى غير مراد بلفظ السماء فيها فالله تعالى يمنّ على عباده بتسخيره الفلك لتجري في البحر بأمر الله بما ينفع الخلق وبتسخيره ما في الأرض لنفع البشر وبحفظه لهم وإمساكه السماء بما فيها من الكواكب والأجرام أن تسقط على الأرض فتهلك أهلها وهذا من رحمة الله ورأفته بالخلق، أما حبس المطر عن السقوط على الأرض فلا وجه له في هذا السياق أبدًا.

٢- كلمة [الأقصى] المذكورة في قوله تعالى:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[الإسراء: ١] حيث ترجم جاك

---

(1) انظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٤٠٩/٥).

(2) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٥٩٨).

(3) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية د. أحمد الحصين (ص: ٧٣٨).

(4) انظر في معاني السماء: المفردات للراغب الأصفهاني (ص: ٤٢٧).

بيرك معنى الأقصى بالنهائي أو الأخير[1] وواضح أن سياق الآية دال على مسجد معين هو مسجد بيت المقدس المسمى: المسجد الأقصى ولئن كانت لفظة الأقصى في اللغة العربية تحتمل معنى الأبعد أو الأخير فإن الاقتصار على هذا الوجه المعين في معنى الآية خطأ واضح لوضوح المعنى ودلالة السياق وثبوت سبب النزول فالمقصود مسجد بيت المقدس الذي بارك الله حوله.

٣- كلمة [الألباب] الواردة في قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] حيث ترجم "جاك بيرك" معنى كلمة الألباب بكلمة: النخاع. وهو أهم ما في الشيء كما يرى جاك بيرك[2] وإن كان هذا المعنى قد ورد كوجه من الأوجه اللغوية المحتملة إلا أن السياق لا يسنده والمعنى لا يستقيم به، فالمقصود أهل العقول الراجحة والأفهام السليمة وليس أهل النخاع أو اللباب كما فهم هذا المترجم.

٤- كلمة [المعلقة] الواردة في قوله تعالى:﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ١٢٩].

حيث أظهر جاك بيرك جهلاً مطبقًا وخلطًا عجيبًا في معاني الألفاظ حين اعتبر كلمة (المعلقة) تدل على إحدى المعلقات الشعرية الباقية من الشعر الجاهلي[3] لمجرد كون لفظة المعلقة يمكن أن تطلق في اللغة على المعلقات الشعرية المشهورة عند الجاهليين وإذا وصل الخلط إلى هذه الدرجة فإن الترجمة تفقد تمامًا كل قيمة علمية يمكن أن يوثق بها.

---

(١) انظر: موقف الغرب من الإسلام د. زينب عبد العزيز (ص: ٦٥).

(٢) انظر: موقف الغرب من الإسلام (ص: ٦٦).

(٣) انظر: إعادة قراءة القرآن رد الدكتور/ محمد رجب البيومي علي جاك بيرك (ص: ٢٦٦).

المبحث الرابع: الجهل بأساليب الخطاب في اللغة العربية

من أهم الأمور التي يجب أن يلم بها المترجم معرفةُ أساليب الخطاب وصور البلاغة في اللغة التي يترجم منها إلى لغة أخرى بحيث لا يقف عند ظاهر اللفظ دون معرفة ما يدل عليه.

ومن الملاحظ جهل كثير من المستشرقين بالصور البلاغية والأساليب المتبعة في الخطاب عند العرب وقد أثر هذا بشكل واضح على ترجماتهم لمعاني القرآن كما في الأمثلة التالية:

١- عند قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً﴾ [النبأ: ١٠]، ترجم سافاري وماسون وكازيميرسكي معنى اللباس بالثوب أو الرداء[١] وهي ترجمة حرفية مخالفة لأسلوب الخطاب في اللغة العربية القائم على البلاغة وإدراك مقتضى الحال، فالليل ليس ثوبًا حسيًّا يُلبس لكن المقصود أن الليل ساتر بسواده فشُبِّه باللباس بجامع الستر وجاء النظم قمة سامقة في البلاغة والاختصار.

٢- عند قوله تعالى:﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾ [مريم: ٢٨]. ترجم سيل معنى (أخت هارون) بـــ (شقيقة هارون) ثم زعم أن القرآن يخلط بين مريم التي هي أم المسيح عيسى، ومريم أخت هارون وموسى، مع أن بينهما حقبة زمنية تصل إلى ألف وثمانمائة سنة تفرق ما بين عمران وهو أبو موسى، وبين عمران الذي هو أبو مريم[٢].

وقد أوقع سيل في هذا الخطأ جهله بأساليب الخطاب في اللغة العربية فإن العرب تُعبّر بالأخ عن المنتمي إلى مجموعة ما، وهو أسلوب معهود في القرآن كما في قوله تعالى:﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾[هود: ٦١]، وقوله تعالى:﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ [هود: ٥٠]. وليس المقصود أن صالحًا شقيق لكل أفراد قبيلة ثمود، ولا أن هودًا شقيق لكل أفراد قبيلة عاد، فالمقصود بقولهم لمريم :﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ التذكير لها بأنها تنتمي إلى عائلة شريفة القدر هي عائلة هارون لا أنها شقيقته.

٣- عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ [يوسف:

---

(١) انظر: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم لمحمد البنداق (ص: ١٢٦).

(٢) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية د. أحمد الحصين (ص: ٧٤٣).

٢٨] ترجم (جاك بيرك) معنى القدّ بالثقب، وصار المعنى في ترجمته فلما رأى أن قميصه كان مثقوبًا من الخلف[١].

ومعلوم أن القدّ غير الثقب أو الخرم فقدّ فلان الثوب يعني أنه شقه طولاً، وهو من أساليب الخطاب المعهودة في العربية، يُقال: قُدَّ قلب فلان من صخر، أي أنه شُق من صخر فهو قاسٍ لا يلين.

٤- عند قوله تعالى:﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد: ٣٩].

أخطأ (جاك بيرك) نتيجة جهله بأساليب الخطاب في اللغة العربية فترجم المعنى بأن الله يمحو ويبدل ويؤكد النبوءات وفقًا لهواه[٢].

وواضح أن المعهود من أسلوب الخطاب في العربية ينفى ما ذهب إليه هذا المترجم، فما يشاؤه الله سبحانه وتعالى لا يُترجم بما يوافق هواه كما جاء عند (جاك بيرك) بل المقصود أن قَدَر الله كائن وفقًا لما يريده سبحانه إرادة كونية أو إرادة شرعية.

٥- عند قوله تعالى:﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] .

ترجم (سيل) معنى العبارة بقوله: "علاوة على ذلك فإنني أقسم بأماكن النجوم"[٣] وقد وقع المترجم هنا في خطأين اثنين لجهله بأساليب الخطاب في لغة العرب.

أولهما: أن كلمة (فلا أقسم) لا تعني: "علاوة على ذلك فإنني أقسم" بل تعني لذا فإنني لا أقسم.

والثاني: أن مواقع النجوم لا تقتصر فقط على أماكن النجوم بل تشمل كذلك ما تمرُّ به وتهوي إليه[٤].

---

(١) انظر: موقف الغرب من الإسلام د. زينب عبد العزيز (ص: ٦٦).

(٢) انظر: موقف الغرب من الإسلام د. زينب عبد العزيز (ص: ٦٩).

(٣) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية د. أحمد الحصين (٧٣٤).

(٤) انظر: على سبيل المثال: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٣٩٣/٧).

المبحث الخامس: الرجوع إلى لغات غير العربية في معاني بعض الألفاظ

نزل القرآن بلسان عربي مبين وقد أفاض المفسرون في بيان معنى قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

وقوله تعالى:﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].

وقوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾[الشورى: ٧].

وأكدوا على أن القرآن عربي ولا يمكن فهم معاني ألفاظه بالرجوع إلى لغات أخرى غير العربية[١] لكن نفرًا من المستشرقين حاولوا الرجوع إلى لغات أخرى غير العربية، ولاسيما السريانية أثناء ترجمتهم لمعاني القرآن فوقعوا في أخطاء واضحة في الترجمة ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[المدثر: ٥] ترجم مونتجمري وات كلمة الرجز بالعقاب الإلهي، وهو خطأ أوقعه فيه إرجاعه كلمة رجز إلى كلمة (رجزا) السريانية التي تعني العقاب الإلهي[٢] لكن المعنى الظاهر في اللغة العربية ومن سياق الآية القرآنية ينفي ذلك، ويؤكد على أن المراد بالرجز هو النجاسة الحسية والمعنوية ففي الآية تحذير للنبي ﷺ من التلوث بها.

٢- عند قوله تعالى:﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾رجع (جيب) إلى اللغة السريانية وربط بين كلمة (حنيفًا) العربية وكلمة (همیا) السريانية التي تعني الوثني، وتوصّل إلى أن الحنيفية عقيدة بشّر بها محمد في أول بعثته ثم استبدلت بالإسلام بعد ذلك[٣].

لكن هذا الزعم الباطل يتهاوى حين نعود إلى معنى كلمة (الحنيف) في لغة القرآن، وهي اللغة العربية لا السريانية فهي تدل على المائل عن الشرك إلى التوحيد، وتعني صاحب الفطرة السليمة[٤].

---

(١) انظر: على سبيل المثال: جامع البيان للطبري (٢١٢/٢٣) وتفسير ابن كثير (٢٦٧/٢).

(٢) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية (ص: ٧٥، ومحمد النبي والحاكم) (ص: ٢١) وما بعدها.

(٣) انظر: المحمدية للمشرق جيب (ص: ٣٨)، والاستشراق والقضايا الإسلامية (ص: ٧٥١).

(٤) انظر: المفردات للراغب (ص:٢٦٠) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٢٤/١).

بل إن قوله تعالى:﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥] كافٍ في رد المعنى الذي ذهب إليه المستشرق جيب ومن وافقه.

٣-عند قوله تعالى:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾[الفرقان:١].

رجع آرثر جفري وبيل إلى اللغة السريانية لفهم معنى كلمة الفرقان بزعم أنها مأخوذة من كلمة (برقانا) التي تعني الخلاص بالسريانية، وهو خطأ واضح فالفرقان يعني الفاصل بين الحق والباطل ولا يعني الخلاص في لغة العرب[١].

٤- رجع (فون جرنيوم) إلى معنى كلمة (قريانا) في اللغة السريانية زاعمًا أن كلمة (قرآن) مأخوذة منها، وتعني قريانا بالسريانية (كتاب القداس)[٢] وهو معنى غير عربي، والقدّاس وطقوسه المتضمنة قراءة فصول من التوراة لا علاقة للعرب بها من قريب أو بعيد، ومعلوم أن القرآن مصدر مهموز على وزن فعلان من قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا، وهي من فصيح كلام العرب[٣].

---

(١) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية (ص: ٧٥١).

(٢) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية (ص: ٧٥٠).

(٣) انظر على سبيل المثال: المفردات للراغب (ص: ٤١٤)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ١٤٧)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٢٧٧).

المبحث السادس: التأثر بعقائد أهل الكتاب

لم يستطع المستشرقون أن ينفكوا من انتمائهم لليهودية أو النصرانية فأثر ذلك على ما قاموا به من ترجمات لمعاني القرآن مع محاولة بعضهم التقليل من تأثير هذه العقائد على فهمهم لنصوص القرآن.

ومن أبرز الأمثلة على هذا التأثر ما يلي:

١- عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر:١] تأثر مونتجمري وات بعقائد اليهود فقال: لقد تلفع محمد بدثار ليحمي نفسه من الله كعادة الساميين.. كما يمكن القول بأن هذا الدثار كان لاستنزال الوحي"[١].

وهذه عقيدة باطلة تضمنت زعمًا بأن الدثار للحماية من الله ولاستنزال الوحي وهي عقيدة مخالفة لاعتقاد المسلمين بأن الله قادر على كل شيء وأنه لا منجى منه إلا إليه، ثم إن نزول الوحي إنما يكون بأمر الله ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ﴾. وليس بلبس دثار أو نزعه، وسبب نزول هذه الآية معلوم فإن النبي ﷺ لما فجأه الوحي عاد إلى أهله خائفًا فقال دثروني فدثروه فأنزل الله هذه الآيات.

٢- عند قوله تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾[الإسراء: ١].

تأثر المستشرق الفرنسي (جاك بيرك) بالعقائد النصرانية والطقوس الكنسية فترجم معنى (المسجد الحرام) بكلمة لاتينية هي (Sanctuaire) وتعني جزءًا من الكنيسة حول المذبح حيث تتم فيه المراسم الطقسية وهو مكان مقدس بصفة عامة[٢] وهذا المفهوم غير وارد في معنى الآية، فالمسجد الحرام هو بيت الله الذي أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام ببنائه وجعله مسجدًا أي مكانًا لعبادته وحده لا شريك له، ولتفرد معنى كلمة المسجد وعدم وجود مرادف لها في الثقافات الأخرى، فإنها انتقلت إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية بلفظ قريب منها وهو: Mosquee في الفرنسية لغة المترجم (جاك بيرك)، لكن تأثير ثقافته النصرانية عليه كان أقوى وهو يترجم معنى هذه الآية كما ظهر.

---

(١) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية (ص: ٧٥٥).

(٢) انظر: موقف الغرب من الإسلام (ص: ٦٥).

٣- عند قوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤].

تأثر (آرثر جفري) و(أربري) بالمعتقدات اليهودية الباطلة فوقعا في الخلط بين معنى السكينة في لغة العرب وهي: الطمأنينة والأمن، وبين معنى كلمة (شكينة) العبرية وهي وصف للمجد الخفي للرب يهوه جالسًا مستريحًا على عرش الرحمة[١].

وهي ترجمة مغلوطة تخالف عقيدة المسلمين الذين ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله ولا يصفونه بالجلوس أو الاستراحة أو نحو ذلك من الأوصاف المخالفة للعقيدة الإسلامية.

٤- عند قوله تعالى:﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾[الأنعام: ٥٩].

تأثر (بالمر) بالمعتقدات اليهودية فأكد على أن في الآية "إشارة صريحة إلى المعتقد العبري القائل بأن هناك ثلاثة مفاتيح بأيدي الله"[٢] مع أن قراءة الآية كاملة تثبت خطأ ترجمته لمعناها الذي توصل له، فالله سبحانه وتعالى يُخبر أن مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، وأن ما يحصل في هذا الكون مسطور في كتاب مبين، فأين ذكر المفاتيح الثلاثة في العقيدة اليهودية من ذكر الكتاب المبين في العقيدة الإسلامية. ومعلوم أن لفظ: المفاتح يختلف عن لفظ المفاتيح التي تعني الأداة الحسية المستعملة في فتح الأبواب وإغلاقها، وهو ما يؤكد تأثر كثير من المستشرقين بعقائد أهل الكتاب الباطلة أثناء ترجمتهم لمعاني القرآن الكريم.

---

(١) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية (ص: ٧٥٤).

(٢) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية (ص: ٧٥٥).

المبحث السابع: الإخلال بالأمانة ا لعلمية

يتفق الباحثون على اختلاف أديانهم وثقافاتهم وتخصصاتهم على أن الأمانة العلمية شرط ضروري في كل بحث علمي وأن الإخلال بها سبب كافٍ جدًّا لإسقاط أي بحث ونزع الصفة العلمية عنه.

وليس من شك أن أمر الترجمة العلمية أشد خطرًا، إذ أنها نقل لكلام منسوب إلى قائل معين بلغة أخرى غير اللغة التي تكلم بها أو كتب مما يعني ضرورة اطمئنان القراء إلى صدق هذا المترجم ودقته وأمانته العلمية.

ولذا فقد جاء النص على اشتراط وفاء الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه مطمئن عند جميع من كتبوا في علم الترجمة[١] كما اشترطوا إخلاص المترجم في عمله وحسن نيته وعدم تأثره بمذهب خاص يصبغ ترجمته بصفة خاصة[٢].

وتزداد مسئولية المترجم وأهمية أمانته العلمية حين يتعلق الأمر بنقل معاني كتاب مقدس، وهو القرآن يمثل المصدر الأول للتشريع عند مئات الملايين من البشر، ويعتقد جميع هؤلاء أنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والمؤسف في هذا الصدد أن الحقائق الماثلة أمام الباحثين تؤكد على وقوع الإخلال بالأمانة العلمية عند الكثير من المستشرقين الذين تصدّوا لترجمة معاني القرآن، ويتخذ هذا الإخلال جملة من المظاهر، كإخفاء الأدلة المضادة لما يذهبون إليه من الترجمات أو الاعتماد على مصادر معينة توافقهم وإغفال المصادر الأخرى التي تخالف ما يذهبون إليه في ترجمة معاني القرآن، أو محاولة خداع القارئ بتعميم الأحكام على النص المترجم من خلال فهم فردي شاذ، أو غير ذلك من الأخطاء المخلّة بالأمانة العلمية.

ويذكر بعض الباحثين ثلاثة وجوه لتشويه ترجمات معاني القرآن كلٌّ منها يدل على ضعف الأمانة العلمية[٣].

---

(١) انظر: في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق د. أحمد فرحات (ص: ٢٧٨).

(٢) انظر: دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس (ص: ١٧١).

(٣) انظر: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، للدكتور محمد صالح البنداق (ص: ١٠١) وما بعدها بتصرف.

١- إزاحة بعض الآيات من مكانها التوقيفي داخل السورة.

٢- الترجمة الحرّة وتحاشي الترجمة العلمية ليتسنّى للمترجم عرض المعنى كما يراه، لا كما يقتضيه اللفظ والسياق.

٣- التقديم والتأخير والحذف والإضافة.

ويضيف باحث آخر وجهًا رابعًا يتمثل في :"عنونة ترجمات القرآن" التي تحاشت في كثير من الأحيان عقد أية صلة بين القرآن والوحي السماوي فكتب المترجمون على الأغلفة عنونات من قبيل: كتاب محمد، قرآن محمد، القرآن العربي، القرآن التركي، مبادئ السراسنة، الشرائع التركية، الكتاب المقدس التركي تشريعات المسلمين"[١].

ويمكن التوقف في هذا المجال عند الأمثلة التالية:

١- عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

أخلَ رودويل بالأمانة العلمية حين نقل إلى قرّاء ترجمته أن معنى الآية القرآنية: إن الذين يؤمنون بالإله واليوم الآخر ويعملون عملاً طيبًا سيُكافأون من سيدهم وسوف لا يلحقهم خوف أو حزن سواء كان هؤلاء مسلمين أو متبعين للديانة الإسرائيلية أو ساباتيين[٢].

ويلاحظ على هذه الترجمة تحوير معنى الآية وقلب ترتيبها حيث بدأ بالجزء الأخير منها قبل الجزء الأول وإغفال الموقف الصريح للإسلام في هذه المسألة الذي لا يقبل اللبس الوارد في آيات صريحة كقوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً ...﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقوله تعالى:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ

---

(١) انظر: الغارة على القرآن الكريم، للدكتور عبد الراضي عبد المحسن (ص: ٤٨) بتصرف.

(٢) انظر: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم (ص: ١٢٢).

بِذُنُوبِكُمْ﴾[المائدة: ١٨].

وقوله تعالى:﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٥٥].

فالأمانة العلمية تقتضي إيضاح هذا المعنى أو على الأقل عدم نسبة هذا القول الباطل إلى القرآن.

كما يلاحظ أن روديل قد أضاف من عنده طائفة الساباتيين وهم غير الصابئين المذكورين في الآية.

٢- استدل جورج سيل في هامش مقدمة ترجمته لمعاني القرآن على أنه من المرجح كثيرًا أن محمدًا قد تلقى عونًا ليس بالقليل من الآخرين في تخطيط القرآن وتأليفه بالآيتين﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] وقوله تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾[الفرقان: ٤][(١)].

والأمانة العلمية تقتضي منه أن يورد نص الآيتين بتمامهما ليعرف القارئ رد القرآن على هذا الاتهام الباطل فقد أشار القرآن إلى استحالة صدور هذا الكلام العربي البليغ المعجز عن أعجمي لا ينطق بالعربية، فكيف يتّهم بعض المشركين محمدًا ﷺ بأن هذا الحدّاد الرومي الأعجمي قد علمه الله القرآن وتمام الآية.﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] وهي حجة دامغة أخلّ جورج سيل بالأمانة العلمية حين لم يذكرْها كدليل يضاد ما ذهب إليه.

وتمام الآية الأخرى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً*وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً*قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الفرقان: ٤ – ٦].

فقد بينت الآية أن هذا الاتهام ظالم وكاذب وأن القرآن إنما نزل من الله العالم

---

(١) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق (ص: ٣٤).

بأسرار السموات والأرض، لكن جورج سيل لم يشأ أن يكون منصفًا وأمينًا فيتيح للقرآن الذي احتج جورج سيل بجزء من آيتين منه على هذه الشبهة أن يرد على هذه الشبهة من خلال إتمام النصين وترك الحكم للقارئ بعد ذلك.

٣- عند قوله تعالى عن اليهود: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧].

أخل مونتجمري وات بالأمانة العلمية حين زعم أن القرآن أراد أن يجرّد اليهود مما يرونه انتصارًا لهم، وهو قتل المسيح فأنكر القرآن ذلك مع وجود ما زعم أنه شواهد تاريخية مؤكدة لصلب المسيح[١] حيث أغفل مونتجمري وات أن القرآن يكرر ذكر قتل اليهود لأنبيائهم في مواضع متعددة فلماذا ينفي القتل عنهم في هذا الموضع بالذات؟ ثم هل قتل نبي بغير حق انتصار أم هو وصمة عار وسبب للذم والتشنيع؟ وأين غابت الأمانة العلمية حين زعم أن الخيال المبدع المنكر لقتل المسيح يناقض الشواهد التاريخية التي تؤكد صلب المسيح، ثم لم يوثق هذه الشواهد بدليل واحد يؤكد مقالته، وتحاشى التعرض للتناقضات الواضحة لروايات قصة الصلب في الأناجيل مع أنها أصل هام جدًا في ديانتهم، حتى إن أحد الباحثين ذكر أربعة وثلاثين وجهًا من وجوه التضارب بين روايات الأناجيل في قصة الصلب[٢].

٤- قيام ريجسنس بلا شير بدسّ نصٍّ زعم أنه من القرآن، وهو ليس منه بإجماع المسلمين ويتمثل ذلك في آية الغرانيق المزعومة ونصها: (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) حيث ضمنها ترجمته لمعاني القرآن، وترجم معناها ضمن ترجمته لمعاني آيات سورة النجم "وهذه خيانة علمية كفيلة وحدها أن تُسقط اسمه من ديوان الكتاب والباحثين"[٣].

٥- زعم أندريا أريفابيني أنه اعتمد في ترجمته لمعاني القرآن على الأصل العربي وجاءت الدراسات العلمية بعد ذلك لتثبت كذبه في دعواه، وأنه لم يعتمد إلا على ترجمة

---

(١) انظر: رؤية إسلامية للإستشراق (ص: ١٢٢).

(٢) انظر: المسيحية د. أحمد شلبي (ص: ١٦٨).

(٣) انظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي د. محمد أبو ليلة (ص: ٣٧٤).

روبرت كيتون الرتيني الإنجليزي وهي باللغة اللاتينية، بل إن ترجمته لا تعدو أن تكون نسخة أخرى تختلف في صياغتها إلى حد ما مع النسخة اللاتينية[١].

٦- عند ترجمة (بالمر) معنى قول الله تعالى:﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[طه: ١٥]، أخلّ المترجم بالأمانة العلمية حين أتى بمعنى لا وجود له في النص من قريب أو بعيد، بل إنه غير مُتصوَر عقلاً، فذكر أن هذه الآية يمكن ترجمتها كما يلي: إن الساعة قادمة لا محالة وأنا دومًا أخفيها عن نفسي"[٢].

فهل من الأمانة العلمية أن يختلق المترجم معنى من عند نفسه ثم ينسبه للنص الأصلي دون شعور بالمسئولية؟

---

(١) انظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي (ص: ٣٨٧).

(٢) انظر: الاستشراق والقضايا الإسلامية (ص: ٧٣٩).

الخـــاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والشكر له على توفيقه وإعانته، وبعد:

فأختم هذا البحث بجملة من النتائج والتوصيات على النحو التالي:

أولاً: لا يمكن الوثوق بمعظم الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم لوقوعها في الجهل أو الهوى أو فيهما معًا.

ثانيًا: أبرز أسباب الخطأ في الترجمات الاستشراقية هي:

١ – التعصب والميول الذاتية.

٢ – الجهل بمعاني الألفاظ في اللغة العربية.

٣ – عدم إدراك الوجوه المختلفة للمعنى.

٤ – الجهل بأساليب الخطاب في اللغة العربية.

٥ –الرجوع إلى لغات غير العربية في معاني بعض الألفاظ.

٦ – التأثر بعقائد أهل الكتاب.

٧ – الإخلال بالأمانة العلمية.

ثالثًا: الحاجة الماسة إلى إصدار ترجمات موثوقة لمعاني القرآن الكريم باللغات المختلفة، من خلال عمل جماعي مؤسسي يُسهم فيه باحثون أكفاء يجمعون بين شروط المفسر وشروط المترجم، على أن يُسند الإشراف على هذا العمل لجهات إسلامية تتمتع بالخبرة والقدرة على الإنجاز والمنهجية العلمية.

رابعًا: أهمية تزويد الباحثين المتخصصين ولا سيما من لهم اتصال بالغرب بخلاصات كافية تبين أسباب الخطأ في الترجمات الاستشراقية مدعمة بالأمثلة المختصرة ليتمكنوا من إقناع من يتصلون بهم في الغرب بعدم صلاحية معظم الترجمات الاستشراقية للتعريف بالقرآن وتعاليمه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع والمصادر

١- **الإتقـــان في علوم القرآن**: لجلال الدين السيوطي – ت٩١١هـــ– ت. فؤاد أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٩هـــ – ١٩٩٩م.

٢- **الاستشـــراق في أفق انسداه**: للدكتور سالم حميش. منشورات المجلس القومي للثقافة العربية – الرباط – الطبعة الأولى – ١٩٩١م.

٣- **الاستشـــراق والقضـــايا الإســـلامية**: للدكتور أحمد بن عبد العزيز الحصين – رسالة دكتوراه – جامعة أم درمان الإسلامية – كلية أصول الدين.

٤- **الاستشـــراق: المعرفة – السلطة**: لإدوارد سعيد. نقله إلى العربية، كمال أبو ديب – المؤسسة العربية – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

٥- **أصـــول البحـــث العلمي ومناهجه**: لأحمد بدر، الطبعة الرابعة – وكالة المطبوعات – الكويت – ١٩٧٨م.

٦- **إعـــادة قـــراءة القـــرآن**: رد الدكـــتور محمد رجب البيومي علي جاك بيرك – كتاب الهلال – العدد ٥٨٨ – ديسمبر ١٩٩٩م.

٧- **إنـــتاج المستشـــرقين وأثره في الفكر الإسلام**: لمالك بن نبي، منشور ضمن كتاب "القضايا الكبرى" للمؤلف – دار الفكر – الجزائر، دمشق – الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٨- **الـــبرهان في علوم القرآن**: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي – دار المعرفة – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – لبنان.

٩- **بصـــائر ذوي التميـــيز فـــي لطـــائف الكـــتاب العزيـــز**: مجد الدين محمد بن يعقوب الفـــيروزآبادي – ت ٨١٧هـــ – ت. الأستاذ محمد علي النجار – دار المكتبة العلمية – بيروت.

١٠- **تأثير الإسلام في أوروبا في العصر الوسيط**، أيدنبرج، ١٩٧٢م.

١١- **تـــراجم القرآن الأجنبية في الميزان**: د. محمد أبو فراخ – مجلة كلية أصول الدين – بجامعـــة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – العدد الرابع – عام ١٤٠٢هـــ، ١٤٠٣ هـــ.

١٢- **تفسير القرآن العظيم**: للإمام عماد الدين أبي الفؤاد إسماعيل بن كثير – ت٧٧٤هـ – دار الأندلس – بيروت.
١٣- **التفكير المستقيم والتفكير الأعوج**: روبرت تاولس – ترجمة حسن سعيد الكرمي – الطبعة الأولى – سلسلة كتاب عالم المعرفة – الكويت – ١٣٩٩هـ.
١٤- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، للطبري، طبعة الحلبي – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٩٦٧م.
١٥- **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي – الطبعة الثانية – ١٣٧٩هـ.
١٦- **دلالة الألفاظ**: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الثالثة – ١٩٧٢م.
١٧- **رؤية إسلامية للاستشراق**. د.أحمد عبد الحميد غراب، الطبعة الأولى – دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام – الرياض – ١٤٠٨هـ.
١٨- **علماء الغرب يدخلون الإسلام**: لمحمد حلمي.
١٩- **العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت**: د. خالد منصور الدويس – ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية – عام ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٢٠- **الغارة على القرآن الكريم**: للدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن – دار قباء – القاهرة – ٢٠٠١م.
٢١- **فن إقناع الذات بأفكار هشة ومشكوك فيها وخاطية**. د. ريمون بودون – ترجمة نبيل سعد، الطبعة الأولى، دار العالم الثالث – القاهرة – ٢٠٠٢م.
٢٢- **فن الترجمة**: محمد عوض محمد – الطبعة الأولى – القاهرة – ١٩٩٩م.
٢٣- **في علوم القرآن، عرض ونقد وتحقيق**: للدكتور أحمد حسن فرحات – دار عمار – عمان الأردن – الطبعة الأولى – ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٢٤- **القاموس المحيط**: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت ٨١٧هـ – دار مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٠٨هـ.
٢٥- **القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي**: للدكتور محمد محمد أبي ليلة – دار النشر

للجامعات – مصر – الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٢٦- **لسان العرب**: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١هـ – دار صادر – بيروت.
٢٧- **المجموع شرح المهذب**: للإمام أبي زكريا محي الدين النووي، طبعة دار الفكر.
٢٨- **مجموعة الفتاوى**: لشيخ الإسلام ابن تيمية – جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي – دار إدارة المساحة العسكرية – القاهرة – ١٤٠٤هـ.
٢٩- **محاضرات في علوم القرآن**: للدكتور. غانم قدوري الحمد، دار عمار – عمّان (الأردن)، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٣٠- **المحلي**: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ت ٤٥٦هـ – ت. أحمد محمد شاكر – دار التراث القاهرة.
٣١- **محمد النبي ورجل الدولة**: مونتجمري وات. جامعة أكسفورد – ١٩٦٤م.
٣٢- **المحمدية**: للمستشرق جب – جامعة أكسفورد – ١٩٦١م.
٣٣- **مختار الصحاح**: محمد بن أبي بكر الرازي – مطبعة بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٣٤- **المدخل إلى مناهج البحث العلمي**. د. عبد الرحمن بدوي محمد محمد قاسم – الطبعة الأولى – دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٩٩م.
٣٥- **المستشرقون الناطقون بالإنجليزية دراسة نقدية**: للدكتور عبد اللطيف الطيباوي، ترجمة د. قاسم السامرائي، الطبعة الأولى، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض – ١٤١١هـ.
٣٦- **المستشرقون والدراسات القرآنية** د. محمد حسن الصغير، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٨٣م.
٣٧- **المستشرقون والقرآن**: للدكتور إبراهيم عوض–مجلة الأزهر – القاهرة – ١٩٦٨م.
٣٨- **المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي**: لإبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي – القاهرة – ١٩٦٤م.
٣٩- **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم**: للدكتور محمد صالح البنداق، دار الآفاق

الجديدة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤٠- **المستشرقون**: لنجيب العقيقي. الطبعة الرابعة، دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٠م.

٤١- **المسيحية**: د. أحمد شلبي- النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الخامسة.

٤٢- **المعجم الوسيط**: إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

٤٣- **المغني**: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ت ٦٢٠هـ – ت. عبد الله عبد المحسن التركي ود. عبد الفتاح بن محمد الحلو – دار هجر للطباعة – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤٤- **مفردات ألفاظ القرآن**: للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي – دار القلم والدار الشامية – (دمشق، بيروت) – الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٤٥- **مناهل العرفان في علوم القرآن** لعبد العظيم الزرقاني – طبعة الحلبي، القاهرة – ١٣٦٢هـ – ١٩٤٣م.

٤٦- **المنهج لأحكام قيادة العقل**: والبحث عن الحقيقة في العلوم – رينية ديكارت – ترجمة فواز الملاح ومحمود الصالح – الطبعة الأولى – دمشق – ١٩٨٨م.

٤٧- **موسوعة المستشرقين**: لعبد الرحمن بدوي – دار الملايين – بيروت – ١٩٨٤م.

٤٨- **موقف الغرب من الإسلام**: د. زينب عبد العزيز، دار الكتاب العربي، دمشق والقاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤م.

٤٩- **نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر**: للدكتور لخضر شايب، مكتبة العبيكان – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.